العالم التخييلي وإعادة تشكيل التجربة الإنسانية عند بول ريكور

The Imaginary World and the Reconfiguration of Human Experience in the Philosophy of Paul Ricoeur

د/ نعيمة بن خدة [1*]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي. الشلف (الجزائر)، n.benkhedda @univ- chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2026/10/29 تاريخ القبول: 2026/10./09 تاريخ النشر: 2026/11/13

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى مقاربة مفهوم العالم التخييلي في فلسفة بول ريكور من داخل أفق تأويلي يهتم بكيفية تشكّل المعنى وعلاقته بالعالم، وينطلق من فكرة أساسية مفادها أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل المعنى أو وصف الواقع، وإنّما هي خطاب حيّ قادر على إنتاج دلالات جديدة، خاصة من خلال ما يسمّيه ريكور بالابتكار الدلالي، حيث إنّ الاستعارة والبنية السردية تتيح إعادة النظر في الواقع وإعادة تنظيمه على مستوى الفهم، وفي هذا الإطار، يُفهم العالم التخييلي بوصفه شيئا قائما داخل الخطاب وأفقا يتشكّل في التفاعل بين الخطاب والقارئ، وهذا التفاعل يؤدّي إلى إعادة بناء تجربة القارئ نفسها، وهو ما يعبّر عنه ريكور بمفهوم إعادة التشكيل؛ حيث إنّ إدماج المعنى يُعاد داخل التجربة المعيشة، فيؤثّر في إدراك الزمن، وتمثّل الذات، والعلاقة بالعالم، كما يبيّن المقال أنّ السرد يؤدّي دورا أساسيا في جعل الزمن قابلا للفهم؛ إذ يحوّله من مجرد تعاقب إلى تجربة ذات معنى، ويسهم في تشكيل الهويّة بوصفها هويّة تتكون عبر ما نرويه ونؤوّله من تجارب، وفي ضوء ذلك يخلص المقال إلى أنّ التخييل لا يقف في مقابل الواقع، بل يتداخل معه ويعيد بناءه، بحيث يفتح أمامه إمكانات جديدة للفهم والعيش.

كلمات مفتاحية: العالم التخييلي، إعادة التشكيل، الابتكار الدلالي، الهوية السردية، التأويل.

Abstract:

This article seeks to approach the concept of the imaginary world in the philosophy of Paul Ricoeur from within a hermeneutic horizon concerned with the formation of meaning and its relation to the world. It proceeds from the fundamental idea that language is not merely a

[*] د/ بن خدة نعيمة:

tool for conveying meaning or describing reality; rather, it is a living discourse capable of producing new significations, especially through what Ricoeur calls semantic innovation. In this sense, metaphor and narrative structure allow for a reconsideration of reality and its reorganization at the level of understanding. Within this framework, the imaginary world is understood as something that exists within discourse and as a horizon formed through the interaction between discourse and the reader. This interaction leads to the reconstruction of the reader's own experience, which Ricoeur expresses through the concept of refiguration, whereby meaning is reintegrated into lived experience and consequently reshapes the perception of time, the representation of the self, and the relationship with the world. The article further demonstrates that narrative plays a fundamental role in rendering time intelligible, transforming it from mere succession into a meaningful experience, while also contributing to the formation of identity as a narrative identity constituted through the stories we tell and interpret about our experiences. In light of this, the article concludes that imagination does not stand in opposition to reality; rather, it intertwines with and reconstructs it, opening new possibilities for understanding and living.

Keywords: The Imaginary World; Refiguration; Semantic Innovation; Narrative Identity; Hermeneutics.

مقدمة:

تمثّل إشكالية العلاقة بين اللغة والواقع من أكثر الإشكالات إلحاحا في الفلسفة المعاصرة؛ إذ لم يعد ينظر إلى اللغة بوصفها مجرد أداة شفافة تعكس العالم كما هو، حيث أصبحت تُفهَم على أنّها وسيط تأسيسي يشارك في بناء هذا العالم نفسه، وقد تعمّق هذا التحوّل بشكل خاص مع تطوّر فلسفة التأويل (الهرمنيوطيقا) وفلسفة اللغة، فلم يعد السؤال الفلسفي ينصبّ فقط على "ما الذي تعنيه الكلمات؟"، وإنّما على "كيف يُبنى المعنى؟" و"كيف يتشكّل العالم داخل الخطاب؟."

وضمن هذا السياق، يقدّم بول ريكور مشروعا فلسفيا متميزا يتغيّأ من خلاله إلى تجاوز التصوّرات الثنائية التقليدية التي تفصل بين الواقع والتخيل، أو بين الحقيقة والسرد، أو

بين اللغة والعالم. فبدل النظر إلى التخيّل بوصفه نقيضا للواقع أو هروبا منه، يقترح ريكور فهمه بصفته قوة تأويلية فاعلة تسهم في إعادة تنظيم التجربة الإنسانية وإعادة تشكيل أفقها الدلالي والوجودي، ويتمحور هذا المشروع حول فكرة مركزية مفادها أنّ اللغة ليست بنية مغلقة أو نظاما شكليا مكتفيا بذاته، بل هي خطاب حيّ ينفتح على العالم ويعيد إنتاجه عبر ما يسمّيه ريكور بالابتكار الدلالي، إذ إنّ الاستعارة والسرد تتيح إمكانات جديدة لوصف الواقع لا يمكن للغة الوصفية المباشرة أن تبلغها، ومن هنا، فإنّ المعنى لا يُكتشَف بقدر ما يُنتَج داخل حركة التأويل والتفاعل بين النصوص والقرّاء والسياقات التاريخية، وفي هذا الإطار، يكتسب مفهوم "العالم التخيلي" أهمية فلسفية خاصة؛ إذ يشير إلى نمط من الانفتاح التأويلي الذي يعيد تشكيل علاقتنا بالعالم المعيش؛ فالنص الأدبي أو السردي يمثّل الواقع ويقترح إمكانات جديدة لفهمه، ويعيد تنظيم التجربة الزمنية والوجودية للإنسان من الداخل، ومن ثمّ فإنّ الإشكال المركزي الذي يتناوله هذا المقال يتمثّل في: كيف يمكن للتخيّل والسرد -ضمن التصور التأويلي عند ريكور- أن يعيدا تشكيل تجربة الإنسان للعالم دون الوقوع في ثنائية التمثيل أو الانفصال بين الواقع والخيال؟ ولمقاربة هذه الإشكالية، ينبغي تحليل مجموعة من المفاهيم المحورية في فكر ريكور، من بينها: الابتكار الدلالي، السرد والزمن، إعادة التشكيل، من أجل إبراز أنّ العالم في التجربة الإنسانية هو بناء تأويلي متجدد يتشكّل عبر التفاعل المستمر بين اللغة والذات والتاريخ، وليس معطى ثابتا يتصف بالجمود.

1. اللغة والابتكار الدلالي كفضاء للعالم التخييلي.

يشكّل مفهوم اللغة عند بول ريكور نقطة انطلاق أساسية لفهم مشروعه التأويلي؛ إذ إنّ اللغة –لديه- هي خطاب حي يتجاوز البنية اللسانية المجردة نحو مستوى الاستعمال الفعلي داخل السياقات التاريخية والثقافية، ومن هذا التحول المفهومي من "اللغة" إلى "الخطاب"، تتغير طبيعة السؤال الفلسفي ذاته: إذ لم يعد السؤال هو كيف تُحيل الكلمات على الأشياء؟ بل كيف يُنتَج المعنى داخل حركة الخطاب نفسه؟

في هذا الإطار، يرفض ريكور التصور الاختزالي الذي يحصر الدلالة في العلاقة المباشرة بين اللفظ والمرجع، كما هو الحال في التصورات الوضعية أو البنيوية الصارمة، وكما نجده في نظرية الدلالة الإشارية عند غوتلوب فريجه التي تقوم على أحادية المعنى ومنطقيته، فهذه النظرية لا تصلح للعبارات الأدبية والمجازية؛ لأنّ في هذه الأعمال "ينشر الخطاب دلالته

الإشارية بوصفها دلالة من الدرجة الثانية؛ وذلك بفضل تعليق الدلالة الإشارية من الدرجة الأولى للخطاب" **(Ricoeur, 1975, pp. 278-279)** فإذا أردنا إسناد معنى ومرجع إلى العبارات المجازية، فلا بد من تصور نظرية في الإحالة تختلف عن نظرية فريجه؛ إذ إنّ المعنى -في هذه الحالة- يتعدّى المستوى المعجمي أو التركيبي ليتولد داخل التفاعل الحي بين القول والسياق والمتلقي، حيث "تنفتح صيغة أخرى من الإحالة تتجه إلى أنماط الوجود أكثر من مما تتجه إلى موضوعات محددة تجريبيا" **(Ricoeur, 1975, p. 1078)** .

ومن هنا، تظهر أهمية ما يسميه بالابتكار الدلالي **(innovation sémantique)**، وهو المفهوم الذي يعبّر عن قدرة اللغة على إنتاج معانٍ جديدة لا يمكن استنتاجها من العناصر اللغوية الأولية وحدها؛ إذ يتجلى هذا الابتكار الدلالي عند ريكور بشكل خاص في كل من الاستعارة والتخيلات السردية، فالاستعارة عند ريكور هي حدث دلالي يعيد تنظيم شبكة المعنى نفسها، وهي دعوة إلى قراءة تجربتنا الخاصة وفق صيغ دلالية جديدة، وبواسطتها "نجرب طرائق جديدة للوجود في العالم" **(Ricoeur, 1986, p. 245)**، والاستعارة لا تقول الشيء نفسه بطريقة مختلفة، وإنّما تقول "شيئا آخر" يفتح أفقا جديدا للفهم. إنها تُحدِث ما يسميه ريكور صراعا دلاليا بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي، ومن هذا الصراع يتولد معنى جديد يتجاوز حدود الدلالة السابقة، وهذا ما يعبّر عنه ريكور في أعماله بقوله: "نفسّر أكثر لكي نفهم على نحو أفضل" **(Ricoeur, 1995, p. 51)**.

أمّا السرد، فينظر ريكور إليه على أنّه بنية حكائية ترتبط على نحو مميز بعالم الفعل الإنساني، فالحبكة، أو ما يُعرَف بالتكوين السردي تمثّل شكلا من أشكال محاكاة الفعل؛ وذلك من خلال ثلاثة أبعاد متداخلة: فهي أولا "تستند إلى ما نمتلكه سلفا من فهم اعتيادي لبنية الفعل، وثانيا تنفتح على أفق التخييل بما يتيحه من إمكانات، وثالثا تعيد -عبر هذا التخييل ذاته- بناء ذلك الفهم المسبق في صورة جديدة" **.(Ricœur , 1983, p. 13)** ومن هذا المنظور الأخير، تكتسب المحاكاة دلالة إحالية متميزة؛ إذ يصبح السرد عملية إعادة تشكيل له من خلال وسيط تخييلي، بما يسمح بإنتاج آفاق جديدة للفهم والتأويل، فهذا التحول يجعل اللغة قوة إعادة وصف للعالم؛ فحين تستخدم الاستعارة أو الخطاب الشعري أو السردي، فإننا نعيد تسمية الواقع، كما نعيد تنظيمه إدراكيا وتأويليا، بحيث تظهر جوانب

من التجربة كانت غير مرئية ضمن اللغة الوصفية العادية. ومن هنا يمكن القول إنّ اللغة -في تصور ريكور- تمتلك قدرة كشفية وليست فقط تعبيرية.

ويترتب على ذلك أنّ العلاقة بين اللغة والواقع ليست علاقة انعكاس، وإنّما هي علاقة تكوين وتأويل، فالواقع يتشكّل داخل اللغة بوصفه "عالما مُؤوَّلا"، وهذا ما يسمح لريكور بتجاوز الثنائية التقليدية بين "الذات" و"الموضوع"؛ لأنّ العالم نفسه لا يُدرك إلا عبر وسائط لغوية وتأويلية؛ فهو كما يعرّفه ريكور "مجموع الإحالات التي تفتحها كل أنواع النصوص الوصفية أو الشعرية التي قرأتها، وتأوّلتها، وأحببتها" **(Ricœur, 1983, p. 121)**. وبالتالي، فإنّ كل وصف للواقع هو في العمق تفسير له وإعادة بنائه.

ويؤدّي هذا التصور إلى إعادة تعريف وظيفة الخطاب الفلسفي نفسه؛ فالفلسفة قد غدت ممارسة تأويلية تسعى إلى كشف إمكانات المعنى التي تنتجها اللغة في استعمالها الحي، وههنا تتقاطع فلسفة ريكور مع التحول العام في الفلسفة المعاصرة نحو الاهتمام بالخطاب، والسياق، والبعد التأويلي للمعنى.

كما أنّ الابتكار الدلالي يمتد إلى فهم التجربة الإنسانية نفسها متجاوزا المستوى الجمالي أو الأدبي؛ فحين يعاد وصف الواقع عبر الاستعارة والسرد، فإنّ هذا يغيّر اللغة وطريقة إدراكنا للعالم؛ إذ يصبح بالإمكان رؤية العلاقات الإنسانية، والزمن، والفعل، والمعاناة، ضمن أفق دلالي جديد؛ وبذلك، تتحول اللغة إلى وسيط إعادة تشكيل للتجربة وليس مجرد نقل لها.

وتأسيسا على مرّ ذكره، تتضح إحدى النتائج المركزية في فكر ريكور، وهي أنّ اللغة منفتحة على العالم عبر حركة مستمرة من الإنتاج الدلالي، وهذا الانفتاح هو ما يسمح بظهور ما يمكن تسميته بالعالم المعاد وصفه؛ أيْ العالم كما يعاد بناؤه داخل الخطاب، لا كما يُفترَض أنه موجود بشكل مستقل وثابت.

وبالتالي يمكن القول إنّ الابتكار الدلالي يشكّل الأساس النظري الذي يقوم عليه مشروع ريكور بأكمله؛ لأنّه يبرر إمكانية الانتقال من اللغة إلى العالم، ومن النص إلى التجربة، ومن الخطاب إلى الوجود؛ فمن دون هذه القدرة الإبداعية للغة، لا يمكن فهم كيف يصبح التخييل والسرد أدوات لإعادة تشكيل الواقع الإنساني بدل الاكتفاء بتمثيله.

2 – مفهوم الخيال عند ريكور.

عرف مفهوم الخيال في فلسفة ريكور تحوّلا نوعيا عميقا؛ إذ لم يعد يُنظر إليه بوصفه مجرد معرفة بالصور تحتل مرتبة دنيا (Platon, 1960, pp. 330 -331) أو قوة تضليل (Pascal , 1999, pp. 182- 185)) أو مجرد عملية حسية غير ضرورية للمعرفة قد تؤدّي بالعقل إلى الانحراف عن الحقيقة (Descartes, 1967, pp. 318 - 319)، وإنمّا بصفته طاقة دلالية خلاقة تعيد تنظيم التجربة الإنسانية وتفتحها على أفق الإمكان، وعلى هذا الأساس، ينخرط الخيال في قلب المشروع التأويلي عند ريكور؛ حيث يغدو شرطا لإنتاج المعنى لا عائقا أمامه، وأداة لإعادة تشكيل الواقع بدل الاكتفاء بعكسه أو محاكاته؛ فالخيال يعيد وصف العالم عبر شبكات رمزية ومجازية تسمح بإدراك ما لا يُدرك في مستوى التجربة المباشرة.

وقد تبلور هذا التصور تدريجيا عبر مساره الفلسفي؛ ففي أعماله المبكرة المرتبطة بفينومينولوجيا الإرادة، كان الخيال مرتبطا بوظيفة الإسقاط التي تمكّن الذات من تصوّر أفعالها الممكنة؛ أيْ من الانتقال من مستوى الإرادة بوصفها نية إلى الإرادة من منطلق كونها أساسا لمشروع أنثروبولوجي يعنى بقدرات الفرد، وتقوم الفكرة المركزية لدى ريكور على إنكار وجود فعل «خالص» يمكن إدراكه منفصلا عن اللغة التي يتجلى من خلالها، أو عن الشروط الملموسة التي يتحقق ضمنها؛ لذلك فإنّ أنثروبولوجياه تنظر إلى الفعل على أنّه قدرة متجسدة ومتحققة في العالم؛ أيْ كفعل يُمارَس ضمن سياقات واقعي، وفي هذا الإطار، تستلهم فينومينولوجيا «الإنسان القادر» -عنده- بمرونة التحليلات التي قدّمها موريس ميرلوبونتي حين أعاد صياغة الكوجيتو بصورة عملية؛ إذ إنّ الوعي أصبح يُفهَم بوصفه «أنا أستطيع» بعدما كان يفهم على أنّه «أنا أفكر» (Merleau-Ponty, 1944, p. 160)، ومن خلال هذا الترابط بين الفعل والخيال، يظل ريكور ملتزما بالمنهج الفينومينولوجي الهوسرلي الذي يمنح الأولوية لوصف الممكن بدل الاقتصار على ما هو متحقق فعليا، والذي يجعل من "التخيل العنصر الحيوي للفنومينولوجيا" .(Husserl, 1950, p. 227) وعلى هذا الأساس، يضطلع الخيال-بوصفه قدرة على إنتاج الصور والتخييلات- بوظيفة إجرائية واستكشافية حاسمة؛ إذ يوجّه الفعل ويسهم –أيضا- في جعله موضوعا للفهم الفلسفي؛ أيْ في إتاحته للتأويل والإدراك النظري.

غير أنّ هذا الدور سيتعمّق لاحقا مع تحليله للغة المجازية في كتاب «الاستعارة الحية»؛ حيث يبيّن أّن الاستعارة هي حدث دلالي ينتج معنى جديدا عبر توتر خلاق بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي، وهنا يتدخل الخيال بوصفه القدرة التي تؤلّف بين الحقول الدلالية المتباعدة، فيكشف عن أبعاد غير مرئية في الواقع، ويعيد تشكيل علاقتنا به من خلال ما يسمّيه ريكور «الإحالة المجازية».

ويتوسع هذا الدور أكثر في مشروعه السردي الكبير «الزمان والسرد»، إذ يصبح الخيال السردي بنية أساسية لفهم الزمن الإنساني؛ فالزمن -في نظر ريكور- يُستوعَب من خلال السرد الذي يعيد تشكيله ضمن حبكة تمنحه معنى واتساقا، ومن ثمّ يتقاطع الخيال مع الذاكرة والتاريخ؛ إذ يسهم في تنظيم التجربة الزمنية للذات، وفي بناء ما يسمّيه «الهويّة السردية» التي تتشكّل عبر التفاعل بين الثبات والتغير، واستنادا لذلك، يغدو الخيال طريقة لفهم الزمن وإعادة عيشه، لا هروبا منه.

ولا يتوقف ريكور عند البُعد اللغوي أو السردي، بل يمنح الخيال وظيفة نقدية تحررية في المجال الاجتماعي والسياسي، خاصة في تحليله لثنائية الإيديولوجيا واليوتوبيا، فإذا كانت الإيديولوجيا تميل إلى تثبيت الواقع وإضفاء الشرعية عليه، فإنّ اليوتوبيا -بوصفها تعبيرا عن الخيال- تعمل على خلخلته وكشف حدوده، عبر اقتراح أشكال بديلة للعيش المشترك؛ ولذلك يؤدّي الخيال دورا مزدوجا: فهو من جهة يكشف الطابع التاريخي والنسبي للأنظمة القائمة، ومن جهة أخرى يفتح أفقا لإمكانات جديدة، مما يجعله أداة نقد وإبداع في الآن ذاته.

كما يرتبط الخيال عند ريكور بشكل أعمق بمفهوم «المسافة التأويلية»؛ إذ لا يمكن للذات أن تفهم العالم أو النص إلا عبر مسافة رمزية تفصلها عنه وتعيد ربطها به في الوقت عينه، وهذه المسافة هي ما يتيحه الخيال؛ لأنّه يسمح بإعادة تمثيل التجربة بدل الانغماس المباشر فيها، ومن ثم يجعل الفهم ممكنا، كما أنّ الخيال يضطلع بدور أساسي في الانتقال من الفهم إلى الفعل؛ لأنّ تصور الممكن هو شرط لكل ممارسة إنسانية تسعى إلى التغيير.

زهكذا يتّضح أنّ الخيال -في فلسفة ريكور- هو بنية أنطولوجية تأويلية تؤسّس لعلاقة الإنسان بالعالم، وتربط بين اللغة والزمن والفعل. إنّه الوسيط الذي يجعل من الواقع قابلا لإعادة الوصف، ومن التجربة قابلة للفهم، ومن الوجود الإنساني مشروعا مفتوحا على إمكاناته، لا معطى مغلقا على واقعه، ومن ثمّ يصبح الخيال -عنده- شرطا لفهم العالم التخييلي من منطلق كونه أفقا تأويليا يعيد تشكيل التجربة الإنسانية.

3. **العالم التخييلي بوصفه اقتراحا تأويليا:**

يشكّل مفهوم العالم التخييلي عند بول ريكور إحدى أكثر النقاط كثافة في مشروعه التأويلي؛ لأنّه يخرج النص من كونه بنية لغوية مغلقة إلى كونه قوة اقتراح للعالم؛ فالعالم التخييلي هو اقتراح دلالي وتأويلي ينتجه النص ويعرضه على القارئ ليُعاد بناؤه داخل أفق تجربته لا مجرد عالم مواز، وهذا الاقتراح يفتح إمكانات للمعنى، ويعيد تنظيم علاقة الذات بالعالم عبر وساطة اللغة، و يرى بول ريكور أنّ بعض أنماط «العيش في العالم» تكتسب طابعا زمانيا أصيلا، غير أنّها وعلى الرغم من ارتباطها بالزمن، تظل ذات طبيعة تخييلية؛ إذ لا تتجلى إلا من خلال النص وبواسطته، لكنها -في الآن ذاته- لا تنغلق داخل حدوده، وإنّما تمارس نوعا من التعالي من داخل المحايثة، بحيث تتجاوز النص دون أن تنفصل عنه، مما يتيح إمكان تقاطعها مع عالم القارئ وتجربته الخاصة.

وفي هذا الإطار، يعرّف ريكور «التجربة التخيلية» على أنّها صيغة ممكنة للوجود في العالم، يقترحها العمل عبر قدرته على تخطّي ذاته وإسقاط آفاق جديدة للمعنى **(Ricœur, 1984, p. 233)**. ومن ثمّ يمكن تحديد مفهوم «العالم التخييلي» -لديه- على أنّه أفق دلالي مركّب يقوم على عدة مستويات: أولها: إنّه نمط من التشكيل السردي يتجذر في بنية سابقة للفعل الإنساني والمعاناة، لكنه لا يظل حبيس النص، بحيث ينفتح على ما يتجاوزه، وثانيها: نتاج لعمليات ابتكار دلالي متعددة، سواء على مستوى الوصف أو على مستوى بناء السرد ذاته، بما يسمح بإنتاج معانٍ جديدة، وثالثها: إسقاط لعالم ممكن يتخطى العالم النصي المباشر، عالم يحال إليه عبر أشكال إحالة غير مباشرة، وصفية ورمزية، تتجسد خصوصا في «التجارب التخيلية للزمن» التي يقترحها السرد.

و لفهم هذا التصور، ينبغي الانطلاق من فكرة أساسية عند ريكور مفادها أنّ النص لا يعمل داخل حدوده المغلقة، بل ينفتح على ما يسمّيه أفق العالم، وهذا الأفق يتشكّل داخل

العلاقة بين النص والقارئ، فكل نص تخييلي يحمل داخله إسقاطا لعالم ممكن للمعنى، لكنه لا يكتمل إلا حين يدخل في عملية تأويل، وإنّ تأويل عمل ما "هو بسط العالم الذي يحيل إليه، استنادا إلى بنيته وجنسه وأسلوبه" **(Ricoeur, 1975, pp. 278-279)**. وهنا يصبح العالم التخييلي نوعا من "الاقتراح": دعوة القارئ لإعادة التفكير في الواقع من زاوية مختلفة، عبر إعادة تشكيل التصنيفات التي يعتمدها في فهمه للعالم.

إنّ هذا الاقتراح يشتغل على مستوى المحتوى المباشر وعلى مستوى أعمق المتمثل في مستوى البنية الدلالية للخطاب؛ فالنص التخييلي -عبر الابتكار الدلالي- يعطل الاستعمال العادي للغة ويعيد توجيهها نحو إنتاج معانٍ جديدة، والإحالة تتحول إلى إحالة مجازية تفتح المجال أمام إعادة وصف العالم بطريقة غير مألوفة، وعليه، فالعالم لا يُقدَّم في النص كما هو، بل يعاد "تشكيله لغويا" بحيث يصبح قابلا للفهم بطريقة جديدة.

ويكتسب هذا الاقتراح قوته من كونه لا يظل محصورا في النص، بحث يتجه نحو القارئ بصفته شريكا في إنتاج المعنى؛ فالعالم التخييلي لا يوجد إلا من خلال فعل القراءة؛ أيْ من خلال ما يسمّيه ريكور التلقي التأويلي، والقارئ -ههنا- يدخل في عملية إعادة بناء للعالم المقترح داخل النص **(Ricoeur, 1986, p. 23)** وهذا التفاعل بين النص والقارئ يؤدّي إلى ما يسمّيه ريكور التداخل بين الأفقين: أفق النص وأفق القارئ، غير أنّ هذا التداخل لا يعني اندماجا تاما أو تطابقا، وإنّما معناه الاحتكاك المستمر بين عالمين مختلفين ينتج معنى جديدا.

ومن هنا، يتحوّل العالم التخييلي إلى ما يشبه مختبرا تأويليا للتجربة الإنسانية؛ فهو يتيح إعادة النظر في الواقع المعيش من خلال إدخال إمكانات لم تكن متاحة في الإدراك اليومي؛ لذلك يقول ريكور "إننا مدينون إلى حدّ كبير للأعمال التخيلية بتوسيع أفق وجودنا" **(Ricœur , 1983, p. 121)**، فهذه الأعمال تنجح في تصوير الواقع "من خلال تعزيزه بكل المعاني التي تستمدها هي نفسها من قدرتها على الاختصار والإشباع والإتمام." **(Ricœur , 1983, p. 121)**، فالقارئ -وهو يواجه العالم المقترح- يُجبَر على إعادة التفكير في مفاهيمه عن الزمن، والفعل، والذات، والتاريخ؛ وهذا ما يجعل التخييل نشاطا جماليا وممارسة معرفية ووجودية في الآن نفسه، كما أنّ هذا العالم يتحدد بوصفه بناءً لغويا، وفضاء لإعادة تشكيل التجربة، فالنص يمثّل العالم ويعيد تنظيم طريقة العيش فيه، والقارئ لا يخرج من

التجربة كما دخلها؛ لأنّ العالم التخييلي يعيد ترتيب علاقته بالواقع: يوسّع ما يعتبره ممكنا، ويعيد تعريف ما يعتبره واقعيا، ويهزّ يقيناته حول الحدود بين ما هو فعلي وما هو متخيل.

وتتحدد أهمية هذا التصور في كونه يتجاوز الثنائية التقليدية بين الواقعي والمتخيل، فالعالم التخييلي هو إعادة صياغة للواقع داخل أفق تأويلي مفتوح. ومن ثمّ، يصبح التخييل عند ريكور قوة تحويلية تعيد تشكيل العالم المعيش نفسه، عبر اللغة، وعبر التفاعل بين النص والقارئ، وعبر حركة دائمة من الفهم وإعادة الفهم؛ وبذلك، يمكن القول إنّ العالم التخييلي هو حدث تأويلي يتولد في العلاقة بين القول والفهم، وبين النص والقراءة، واللغة والعالم. إنه اقتراح دائم لإعادة بناء الواقع؛ بوصفه إمكانا مفتوحا على التحول المستمر لا على أنّه معطى ثاب، ولأجل ذلك تبرز عملية إعادة التشكيل كنموذج لفهم كيف يخرج النص حدوده اللغوية إلى قلب التجربة المعيشة، ويكشف بأنّ الفهم فعل تأويلي مستمر يعيد بناء الزمن والذات، والعلاقات داخل أفق عالمي مفتوح.

4. إعادة التشكيل والتجربة التأويلية للمعنى:

يحتل مفهوم إعادة التشكيل **(refiguration)** موقعا محوريا في المشروع التأويلي لبول ريكور؛ لأنّه يمثّل الحلقة التي تربط بين النص والعالم المعيش، والتخييل والتجربة، وبين السرد وبناء الزمن الإنساني، فإذا كان النص، في مرحلة أولى، يقوم بتشكيل العالم داخل بنية سردية أو شعرية منظمة، فإنّ هذا التشكيل لا يبقى محصورا داخل حدود العمل، بحيث ينتقل إلى مستوى أعمق حيث يعاد إدماجه في تجربة القارئ، فيتحول إلى إعادة تشكيل للواقع المعيش نفسه؛ وبذلك تكون القراءة عملية فهم وإعادة بناء للعالم كما يُعاش ويُدرك ويُؤوَّل.

وتجدر الإشارة –هنا- إلى أنّ التمايز بين مفهوميْ التشكيل وإعادة التشكيل، لا ينبغي النظر إليه من منظور تحليلي ضيق يقوم على فكرة الإحالة المباشرة، بحيث يُفترَض أنّ النص التاريخي يعكس ماضيا «واقعيا» في مقابل نص تخييلي يحيل إلى وقائع «غير واقعية»؛ فمثل هذا التصور يختزل طبيعة العلاقة بين النص والعالم، بل لا بد من إدراك هذا الفرق ضمن أفق هرمنيوطيقي، على نحو ما يطرحه ريكور حيث تتحدد دلالة النص من خلال سيرورة الفهم والتأويل التي ينخرط فيها القارئ، وعلى هذا الأساس، تعود قيمة النص -سواء

أكان تاريخيًا أم تخييليا- مرهونة بقدرته على فتح أفق تجربة ممكنة يعيد القارئ عبرها تشكيل علاقته بالعالم.

ونقطة الانطلاق في هذا التصور هي فكرة أنّ الزمن الإنساني تجربة مشتتة ومجزأة تحتاج إلى تنظيم وليس معطى مباشرا ومن بعد ذلك يأتي دور السرد، سواء كان تاريخيا أو تخييليا، بوصفه آلية تمنح الزمن شكله الإنساني "فلا يصبح الزمن إنسانيا إلا عندما يروى" **(Recoeur, 1995, p. 125)**، فالسرد يصف الأحداث ويرتّبها داخل حبكة **(intrigue)** تمنحها معنى واتجاها، والوظيفة الإحالية الخاصة بالحبكة تكمن في "قدرة التخيل على إعادة تشكيل هذه التجربة الزمنية وإعادة تصويرها" **(Ricœur, 1983, p. 13.)**. ومن خلال هذا التنظيم السردي، يتحول الزمن من مجرد تعاقب فيزيائي إلى زمن إنساني قابل للفهم والتجربة وهذا التشكيل الأولي داخل النص هو البداية فقط؛ لأنّ النص السردي لا يكتمل إلا عندما يدخل في علاقة مع قارئ يعيد تأويله.

ويتعمق ريكور في تحليله لمفهوم «التشكيل السردي» أو الحبكة، حيث ينطلق من تأمّل دقيق في طبيعة العالم الذي يخلقه السرد التخييلي؛ ففي نظره، ينطوي كل عمل تخييلي- سواء أكان لغويا أم تشكيليا، سرديا أم شعريا-على حركة تجاوز لذاته يقوم من خلالها بإسقاط عالم خارج حدوده، يمكن تسميته «عالم العمل» **(Ricœur, 1984, p. 14)**. وهذا العالم يُفهم بوصفه أسلوبا ممكنا للوجود في العالم، يظل معلقا في انتظار أن يعاد تفعيله وتملّكه عبر فعل القراءة **(Ricœur 1984, p. 14)**. وخلال هذه العملية، يدخل هذا العالم في علاقة تفاعل ومقابلة مع عالم القارئ، بحيث نكون إزاء ثلاثة مستويات مترابطة: العالم بوصفه أفقا عاما، وعالم العمل بوصفه مُقترحا تخييليا، وعالم القارئ بوصفه مجال التلقي وإعادة التشكيل.

إنّ العلاقة بين هذه العوالم هي علاقة تفاعل تأويلي مُعمَّق؛ فالعالم التخييلي الصادر من النص السردي يعيد ترتيب العالم المعاش ضمن أفق دلالي جديد، في إعادة تشكيل طريقة رؤية القارئ لنفسه ولزمانه ولعالَمه الاجتماعي، وضمن هذا التفاعل، فعالم النص لا يذوب في عالم القارئ، ولا يُلغَ النص في الواقع؛ لأنّ كلا العالمين يحافظان على تميّزهما، مع ذلك يتوتر أفقاهما ويعيد كل منهما تشكيل الآخر؛ ولذلك يُفهم بأنّ التجربة الإنسانية تتأسّس عبر

انفتاح مستمر بين العالم المُعاش والعالم المُتخيل؛ إذ إنّ الخيال السردي يصبح أداة تفكير ونقد للواقع وإعادة تشكيل له.

وهنا يظهر مفهوم إعادة التشكيل بوصفه المرحلة التي يتم فيها نقل البنية السردية من داخل النص إلى داخل تجربة القارئ، وتتعلق إعادة التشكيل الزمنية بما "يسلّط الضوء على تلك التجارب التي يُجعَل فيها الزمن موضوعا للتأمل" **(Ricœur,1985, p. 9)** ووفقا لوعينا بالزمن، فالقارئ يدخل في علاقة تأويلية مع العالم الذي يقترحه النص؛ بحيث تجعل هذا العالم يعيد تنظيم فهمه لذاته ولتاريخه ولزمنه الشخصي، كما أنّ النص، بهذا التصوّر، يمثّل الزمن ويعيد تشكيل تجربة الزمن لدى من يقرأه؛ إذ يصبح الماضي والحاضر والمستقبل مفهومة داخل أفق جديد من المعنى.

وتتجلى أهمية إعادة التشكيل في كونها تتجاوز البعد المعرفي لتمتد إلى البعد الوجودي؛ فالقارئ يغيّر طريقة فهمه للعالم ويتغير هو نفسه داخل هذا الفهم (**Ricoeur, 1995, p. 73**)وهذا التفاعل مع السرد يؤدّي إلى إعادة تنظيم العلاقة بين الذات وتجربتها الزمنية: كيف تتذكر؟ كيف تتوقع؟ وكيف تفهم حاضرها؟ ومن هنا، فإنّ إعادة التشكيل هي في العمق إعادة تشكيل للهويّة عبر الزمن؛ لأنّ الذات عند ريكور تُفهَم عبر القصص التي تكوّنها وتعيد صياغتها باستمرار، وهذه الذات كما يصفها ريكور ذات جريحة تحرّكها الرغبة والجهد والقدرة -حسب تعبير ميرلوبونتي- على "إعادة ابتكار خلاقة" **(Merleau-Ponty, 1948, p. 43)** لذاتها ومصيرها.

ومن جهة أخرى، لا تعمل إعادة التشكيل في اتجاه خطي بسيط من النص إلى القارئ؛ إذ إنّها تعمل ضمن حركة دائرية معقدة، فكما أنّ النص يشكّل تجربة زمنية، فإنّ القارئ يعيد إدخال هذه التجربة داخل أفقه الخاص، ثم يعيد من خلالها فهم النص نفسه بشكل جديد، وهذا التفاعل المتبادل يجعل المعنى غير ثابت، بل في حالة تحول دائم، حيث يتجدد الفهم مع كل قراءة ومع كل سياق تأويلي جديد.

وبهذا المعنى، يغدو السرد فعلا تأويليا يعيد تشكيل التجربة الزمنية برمتها، بحيث يشمل الوعي التاريخي ذاته والشرط التاريخي الذي يؤطّره **(Ricœur,1985, p. 151)** وفي هذا الإطار، يرى ريكور أنّ إعادة التشكيل تمثّل سيرورة تجميعية من منطلق كونها حركة تركيبية تسعى إلى وصل أبعاد الزمن دون أن تدّعي استنفادها، ومن خلال هذا التصوّر، يعيد ريكور

النظر نقديا في الإرث الهيغلي المرتبط بفكرة الوساطة الشاملة، فيستبدل طموح بلوغ تطابق كامل بين الأزمنة الثلاثة بفكرة وساطة تظل ناقصة بطبيعتها؛ أيْ علاقة مفتوحة بين الماضي والحاضر والمستقبل، لا تكتمل أبدا ولا تنغلق ضمن نسق نهائي، وعليه فإنّ هذا "التجميع" ينبغي فهمه على أنّه عملية حية ومتواصلة تعاد من خلالها صياغة الزمن باستمرار عبر تفاعل السرديات التاريخية وأشكال الوعي؛ فهو تركيب ديناميكي يظل في حالة تشكّل دائم، حيث يُستحضَر المستقبل في أفق الانتظار، ويعاد استيعاب الماضي ضمن أطر التقليد، بينما يتجلى الحاضر بوصفه لحظة توتر وعدم انسجام، أو كاختلال زمني يكشف عن لا اكتمال التجربة الإنسانية للزمن**(Ricœur, 1985, p. 151)**.

وتأسيسا على هذا التصوّر، فإنّ إعادة التشكيل ليست بتلك السطحية التي تعني مجرد "تأثير النص على القارئ"، بحيث تشير إلى عملية أعمق بكثير، هي عملية إعادة بناء للعالم المعيش نفسه عبر السرد والتأويل فالعالم يعاد تكوينه باستمرار داخل التجربة الإنسانية، من خلال التفاعل بين النصوص التي نقرأها، والقصص التي نعيشها، والزمن الذي نؤوله وهي -في النهاية- ما يجعل التخييل والسرد قوة فلسفية حقيقية؛ لأنّه يكشف أنّ فهمنا للعالم هو عملية نشطة لإنتاج المعنى وإعادة تنظيم التجربة؛ وبذلك يصبح الزمن نفسه -في فكر ريكور- بناء تأويليا يتشكل ويعاد تشكيله باستمرار عبر السرد والتخييل والتجربة الإنسانية.

خاتمة:

يتضح -في ضوء ما سبق- أنّ مفهوم العالم التخييلي عند بول ريكور هو تصور فلسفي يعيد التفكير في طبيعة العلاقة بين اللغة والعالم، وبين النص والتجربة، والتخييل والحقيقة؛ إذ لا يمكن اختزاله في كونه تصنيفا أدبيا أو وصفا لعوالم متخيلة منفصلة عن الواقع؛ فالتخييل يشتغل داخل حدود النص ويمتد ليعيد تشكيل أفق القارئ، ويعيد تنظيم فهمه للزمن، وللفعل الإنساني، وللذات، ضمن حركة تأويلية مفتوحة لا تتوقف عند معنى نهائي، ووفق هذا التصور، فإنّ العلاقة بين الواقع والتخييل ليست علاقة تعارض، بل هي علاقة تداخل وإنتاج متبادل للمعنى، حيث يصبح الواقع نفسه قابلا لإعادة القراءة والتأويل، ويتحول التخييل إلى قوة كاشفة تفتح إمكانات جديدة لفهم العالم، ومن خلال مفاهيم، مثل: الابتكار الدلالي، وإعادة التشكيل، وتداخل العوالم، يتضح أنّ النص يمثّل للعالم ويسهم في إعادة بنائه داخل التجربة الإنسانية.

وهكذا، فإنّ قيمة التخييل تكمن في كونه أفقا تأويليا مفتوحا يعيد وصل الإنسان بالعالم المعيش بطريقة أكثر عمقا وثراء، ويجعل من التجربة الإنسانية عملية دائمة لإعادة الفهم والتشكيل؛ إذ إنّ العالم -في النهاية- بناء متجدد يتشكّل باستمرار عبر اللغة والتأويل والسرد.

Bibliography

-Merleau-Ponty, M. (1945). *Phenomenology of perception*. Gallimard.

-Ricoeur, P. (1975). Sign and meaning. *Encyclopaedia Universalis*.

-Ricoeur, P. (1975). *The rule of metaphor*. Seuil.

-Ricoeur, P. (1985). *Time and narrative* (Vol. 3). Seuil.

-Ricoeur, P. (1986). *From text to action: Essays in hermeneutics II*. Seuil.

-Descartes, R. (1967). *Meditations on first philosophy* (Meditation VI). In *Philosophical works*. Gallimard (Pléiade).

-Husserl, E. (1950). *Ideas pertaining to a pure phenomenology and to a phenomenological philosophy* (P. Ricoeur, Trans.). Gallimard.

-Merleau-Ponty, M. (1948). *Sense and non-sense*. Nagel.

-Pascal, B. (1999). *Pensées* (S78 / L44–45). Garnier.

-Plato. (1960). *Sophist*. In *Complete works* (Vol. 2, 263d–264b). Gallimard.

-Ricoeur, P. (1995). *Critique and conviction: Conversations with François Azouvi and Marc de Launay*. Calmann-Lévy.

-Ricoeur, P. (1983). *Time and narrative* (Vol. 1). Seuil.

-Ricoeur, P. (1984). *Time and narrative* (Vol. 2). Seuil.

-Ricoeur, P. (1995). *Reflections made: An intellectual autobiography*. Esprit

Bibliographie

-Merleau-Ponty, M. (1944). *Phénoménologie de la perception.* Paris: Gallimard.

-Ricoeur, P. (1975). « Signe et sens ». *Encyclopaedia universali.*

-Ricoeur, P. (1975). *La métaphore vive.* Paris, édition du Seuil.

-Ricœur, P. (1985). *Temps et récit 3.* Paris: Éd. du Seuil.

-Ricoeur, P. (1986). *Du texte à l'action. Essais d'herméneutique II.* Paris: éditions du Seuil.l.

-Descartes, R. (1967). *Méditations métaphysiques(Méditation VI)* (Vol. Œuvres philosophiques). Paris, France : Gallimard (Pléiade).

-Husserl, E. (1950). *Idées directrices pour une phénoménologie.* (P. Ricoeur, Trad.) Paris: Gallimard .

-Merleau-Ponty, M. (1948). *Sens et non-sens* (éd. 1). Paris: Les éditions Nagel.

-Pascal , B. (1999). *Pensées (S78 / L44- 45).* (1. 185, Trad.) Paris: Garnier .

-Platon. (1960). *le Sophiste: in Œuvres complètes, Pl Gal, t, II, 263d- 264b,.* Gallimard

-Recoeur, P. (1995). *La critique et la conviction, entretien avec -François Azouvi et Marc de Launay.* Paris: Calmann_Lévy.

-Ricœur, P. (1983). *Temps et récit 1.* Paris: Éd. du Seuil.

-Ricœur, P. (1984). *Temps et récit 2.* Paris: Éd. du Seuil.

-Ricoeur, P. (1995). *Réflexion faite. Autobiographie intellectuelle.* Paris: édition Espit

.